



جامعة النجاح الوطنية – كلية العلوم الإنسانية

قسم اللغة الإنجليزية وآدابها



ريب فان وينكل: واشنطن إيرفينغ

ترجمة: روان علمية

ساره عنتر

غالية المصري

بإشراف: الدكتور عكرمة شهاب

كل من كان يقوم برحلة إلى (هدسون) فلا بد أن يتذكر جبال (الكاتسكيل) والتي تعتبر فرع من فروع سلسلة الابلاش التي تقع بعيدا إلى الغرب من النهر وتمتد لارتفاعات شاهقة . إضافة إلى أن أي تغير في الفصول والطقس في أي فترة من فترات وساعات النهار كفيل بمنح هذه الجبال تدرجات لونية رائعة وتغيرات خلابة لأشكال هذه الجبال. تلك التي تلاحظ من خلال كل الزوجات الصالحات ،قريبا وبعيدا ،كمقياس لتسجيل التغيرات. فعندما يكون الطقس جميل وهادئ يرتدين الأزرق البنفسجي وتتسم معالمهن بالوضوح والجرأة في سماء المساء الصافي الجميل.

في بعض الأحيان، وعندما تكون الأجواء صافية يقومون بجمع ابخرتهم بأدخنتها الرمادية، تلك التي ستتهوج وتنشع كعرش من نور مع آخر توهجات الشمس عند المغيب. وفي سفح الجبال الغربية هذه يمكن للرحالة ان يشجبوا ان الدخان الكثيف المتصاعد قادم من القرية، تلك التي تومض اسفؤها الخشبية من بين الأشجار. فقط هناك حيث تلتقي موشحات الأزرق مع الأخضر الليناع في الأرض.

إنها قرية صغيرة -من العصور القديمة العظيمة-تم اكتشافها من خلال بعض المستعمرين الهولنديين. ومع بداية إنشاء وتأسيس حكومة بيتر ستيفنسانت (لترقد روحه بسلام!) وهناك بعض المنازل للسكان الاصليين التي تمت إقامتها منذ بضع سنوات ،بنيت من الطوب الأصفر والذي تم شراؤه من هولندا. ولها شبابيك مش بكل وزوايا مدبية من المقدمة تعلوها الدورات. في هذه البلدة نفسها وفي أحد هذه البيوت ومنذ سنوات عديدة، منذ أن كانت هذه البلدة محافظة تابعة للحكومة البريطانية كان يعيش رجل بسيط طيب أطلق عليه(ريب فان وينكل) وعرف بهذا الاسم نسبة إلى شخص امتاز بشهامته وكرم أخلاقه منذ أيام (بيتر ستيفنساينت) واجتمع في الحصار مع (فورت كريستينا)، وقد ورث طيبة وسذاجة أجداده القدماء واسلافه، فهو رجل طبيعي طيب وهو كذلك فريد من نوعه كجار إضافة لكونه رجل مطيع ومنساق لزوجته بالفعل،فالبنظر إلى الصفات المذكورة سابقا يسهل ان نستخلص بأن روحه كثيرة العطاء قد ساقته له هذه الشهرة العالمية، إن مثل هكذا رجال يميلون إلى أن يكونوا مسالمين، يخضعون للضغوطات والمشاكل المنزلية. إن خضوعهم وشكوكهم ترسم ، ومصنف ضعفهم الذي قد يظهر على شكل غضب متخفي في المشاكل المنزلية وكمحاضرات مجانية لمنح العظام في هذا العالم لتدريس الفضيلة عن الصبر وطول المعاناة.

المرأة المتسلطة، لربما ومع أخذ بعض الأمور بعين الاعتبار قد تكون نعمة مقبولة، وإن كانت كذلك فإن ريب فان وينكل كان محظوظا. مع الأخذ بعين الاعتبار بأنه كان رجل مفضل لدى كل الزوجات الصالحات في القرية. والاتي-على عادة الجنس اللطيف- ساندنه في كل الخلافات والمشاحنات العائلية. أما في جلسات التثرثرة المسائية فلم يفشلن هؤلاء النسوة ابدأ في إلقاء اللوم على (السيدة دايم فان وينكل).

أطفال القرية أيضاً كانوا يهتفون فرحاً كلما رأوه آتياً، فقد شاركهم في رياضاتهم وصنع لهم ألعابهم وعلمهم كيف يطبّرون الطائرات الورقية، وكيف يصوبون على الكرات الرخامية (البنانير) وكان يروي لهم قصصاً طويلة من الأشباح والساحرات والهنود. وكلما كان يتجول في القرية كان يُحاط بجيشٍ منهم يتعلقون على تنوّرتِه ويتسلقون على ظهره دون خوفٍ ولا عقابٍ.

الخطأ الجسيم في تركيبه ريب فان وينكل هو كرهه الذي لا يقهر لكل أنواع العمل المربح وهذا لم ينبع بالطبع من رغبته في المواظبة او المثابرة، فقد كان يُفضل الجلوس على صخرة مبتلة مع صنارة بطول وضخامة حربية تارتار والاصطياد طوال النهار بدون تدمير بالرغم من أنه لا يجب ان يتشجع من لقمة صغيرة، كان يمكنه حمل بندقية اصطياد الطيور على كتفه لساعات متواصلة والتسكع في الغابات والمستنقعات والصعود على التلة والنزول الى الوادي لاصطياد بعض السناجب او الحمام البري، لم يكن يرفض ابداً أن يساعد جاراً له حتى في أصعب أزمه، كما أن ريب فان وينكل كان رجلاً أساسياً في حفلات السمر التي كانت تُقام في البلاد لتقشير الذرة الهندية أو بناء الأسيجة الحجرية.

نساء القرية أيضاً اعتدن أن يستخدمنه لأداء مهماتٍ لهنّ ولتأدية بعض الأعمال الغريبة لأن أزواجهنّ الأقل طواعيةً لا يقبلون القيام بها، بكلمة واحدة ريب كان مستعداً للاهتمام بشؤون الآخرين إلا شأنه الخاص كالقيام بواجباته العائلية والاهتمام بشؤون مزرعته فقد وجد هذا أمراً مستحيلاً، في الحقيقة صرّح ريب أنه لا فائدة من العمل في مزرعته؛ فقطعة الأرض تلك هي الأكثر وباءً في البلاد كلها وكل ما يتعلق بها جرى بشكلٍ خاطئٍ أو سيجري بشكلٍ خاطئٍ رغماً عنه، أسيجته كانت تنهار باستمرار إلى قطعٍ متناثرة وبقرته كانت إما تضل أو تدخل بين محاصيل الملفوف، والأعشاب الضارة كانت تنمو في حقوله أسرع من أي منطقة أخرى والأمطار أيضاً كانت دائماً تتخذ موعداً للهطول عندما يكون لديه عملاً في الخارج لينجزه؛ لذلك كانت ملكيته المتوارثة تتضاءل تحت إدارته هذه فدان وراء فدان حتى لم يتبق منها سوى قطعةٍ صغيرة فيها الذرة الهندية والبطاطا ولكنها بقيت المزرعة الأسوء ظروفاً في الجوار. أولاده كذلك كانوا شعثاً وجامحين كالمشردين؛ ابنه (ريب) كان عفريتاً صغيراً يتصرف على هواه وكأنه قطع وعداً أن يرث عادات والده وثيابه المهترئة، كان عادةً ما يكون ملتصقاً كالمهر عند أقدام والدته مُرتدياً سروال والده القصير الفضفاض الذي كان يحدث ضجة كبيرة عندما يرفعه للأعلى بيدٍ واحدة كما تفعل سيدة جميلة بذيل فستانها في طقس سيء بحركة لا جدوى منها كمن ينفخ في قرية مقطوعة.

على أي حال ريب فان وينكل كان من هؤلاء البشر السعداء الذين يمتلكون رغباتٍ نَملة وحمقاء حيث كان يأخذ العالم بمنتهى السهولة ويأكل خبزاً أبيضاً أو أسمر أو أي شيء يمكنه الحصول عليه بأقل جهدٍ ومشقه، وكان أيضاً يُفضل أن يتصور جوعاً بينس واحد على أن يعمل للحصول على جينيه، إذا تُرك الأمر له كان سيصفر الحياة بعيداً بقناعة تامة ولكن زوجته كانت تكرر بإلحاح في أذنيه عن كسله وإهماله والخراب الذي يجلبه لعائلته، صباحاً وظهراً ومساءً لسانها كان يتكلم بشكلٍ مستمر وأي شيء يقوله أو يفعله كان بالتأكيد يخلق سيلاً جارفاً من الموعدة عن الحياة الزوجية.

ريب كان يمتلك طريقة واحده لا غير في الإجابة على كل المحاضرات من هذا النوع والتي مع الاستهلاك المستمر أصبحت عادة لديه، كان يهز كنفه ويومئ برأسه ويقلب عيناه دون أن يقول أي شيء، ومع ذلك كان هذا التصرف دائماً ما يثير موجة غضبٍ جديده من زوجته، لذلك كان يفضل أن ينفذ بجلده ويهرب خارج المنزل. وهذا في الحقيقة هو الوجه الوحيد لكونه رجل تحكّم زوجته.

(وولف) هو رفيق ريب الوحيد في المنطقة، وهو كسيده محكوماً لزوجته. (دايم فان وينكل) تعدّهم رفاء بالكسل، فهي تنظر إلى (وولف) بعين الشر لكونه سبباً في ذهاب سيده للتسكع. صحيح أن ريب في جوهر روحه يليق بهذا الكلب المشرف؛ فهو حيوانٌ شجاع يجوب الغابة دائماً، ولكن اي شجاعةٍ ممكن أن تصمد في كل وقت أمام رعب هجوم لسان امرأة؟! في اللحظة التي يدخل فيها وولف إلى البيت ينحني رأسه، ويتدلى ذيله إلى الارض، أو يتكور بين رجليه، يدخل متسللاً كمن يتأرجح على حبل مشنقة باتجاه الريح صاباً العديد من النظرات الجانبية على دايم فان وينكل راغباً على الأقل أن يعلو عصا مكنسة، أو يد مغرفة، يطير بها نحو الباب بعواء متلاحق كهطول المطر.

تزداد حال ريب سوءاً مع مرور السنين على حياته الزوجية. زوجةٌ ذات طبعٍ لاذع لا تلين أبداً رغم تقدمها بالسن، ولسانها الحاد كأداة ذات حدين، تزداد حدة كلما ازداد استخدامها. في كل مرة يُطرد فيها ريب من المنزل، اعتاد ان يخفف عن نفسه بذهابه المتكرر إلى نادٍ يجتمع فيه الحكماء والفلاسفة وغيرهم من الشخصيات الخاملة في القرية. تتنعد اجتماعاتهم نوعاً ما بشكلٍ دائم على مقعد بمحاذاة فندقٍ صغير، مصمم على شكل صورةٍ حمراء داكنة لسيادته (جورج الثالث)، فقد اعتادوا على أن يجلسوا هناك بالظل طوال فصل الصيف الحار الممل، يثرثرون عن القرية بلا كلل أو ملل، ويروون قصصاً لا فائدة منها إلى أن يتخلّهم النعاس؛ كان أحاديثهم من الممكن أن تسبب مكسب ماديّ لأيّ رجلٍ دولة يتابع النقاشات العميقة التي تدور أحياناً بالصدفة عندما تقع بين أيديهم صحيفة قديمة سقطت من مسافرٍ عابر. فكيف يسمعون الأخبار بجديّه وكأنها صدرت من لسان (ديريك فان بامل)؛ وهو مديرٌ مدرسة، شابٌ أنيقٌ متعلم، لم تكن تصعب عليه أكثر كلمة عملاقة بالقاموس. وكيف يتعمدون بحذاقة أن ينشروا الأخبار إلى العامة بعد حصولهم عليها ببضعة أشهر.

كان (نيكولاس فيداس) مسيطر تماماً على آراء هذه الزمرة، وهو بطيريك القرية، ومالك الفندق، حيث يبقى جالساً على بوابته من الصباح حتى المساء، يتحرك فقط ليجنب أشعة الشمس مُبقياً نفسه في ظلّ شجرةٍ كبيرة، مما يمكن الجيران أن يُخبروا بدقة عن أوقات حركته كدقة ساعةٍ شمسية. صحيح أنه بالكاد أن يُسمع صوته؛ فهو يُدخّن غليونه بشكلٍ مستمر. يقهّمه أتباعه تماماً (فلكلّ رجلٍ عظيم أتباعه)، ويعرفون كيف يُجمّع آرائه. فعندما يستاء من شيءٍ ما، يلاحظون كيف يدخّن غليونه بعنف، وينفثُ بغضب نفثات دُخانٍ قصيرة ومتكرّرة. أما عندما يُسرّ، يتجرع الدُخان ببطئٍ وهدوء، وينفثُ سُحبَ دُخانٍ قصيرةٍ ورائقة. في بعض الأحيان، ينزع غليونه من فمه فيتجدد دُخانهُ الفوّاح بالقرب من أنفه ويحني رأسه بحزم مما يدلّ على استحسانه التّام.

حتى من هذا الحصن كان ريب عديم الحظ مُوجه دائماً من زوجته السليطة، والتي من الممكن أن تفتح سكون وطمأنينة الحشد المجتمع، و تدعوا جميع الأعضاء إلى اللاشيء. و حتى ذلك الشخص المهيب (نيكولاس فيدير) بنفسه لم يسلم من جراءة لسان هذه المرأة المزعجة المسيطرة، والتي أتهمته صراحةً بنشجيع زوجها على عادات الكسل والخمول، في نهاية المطاف خضع ريب المسكين لليأس تقريباً، وكان مناصه الوحيد للهروب من عمل المزرعة و من صخب زوجته وتذمرها هو أخذ سلاح، حمله في يده و التجول بعيداً في الغابة حيث يجلس ريب أحياناً عند جذع شجرة، ويشارك واللف (والذي يتعاطف معه كشریک في المعاناة والإضطهاد) محفظة نقوده وما فيها من محتويات.

"مسكين وولف " يقول ريب: "سيدتك حولت حياتك إلى حياة بائسة ، ولكن لا تهتم يا صاحبي فطالما أنا على قيد الحياة لن تحتاج صديق آخر ليقف بجانبك." يهز وولف ذيله وينظر بحزن عميق في وجه سيده. ولو كان الكلاب يشعرون بالأسف، فأنا أصدق حقيقةً بأنه سيتفاعل مع العواطف والأحاسيس، وسيبادل المشاعر من كل قلبه.

في نزهة طويلة في يوم خريفي وبغير وعي تسلق ريب لواحدة من أعلى مناطق جبال الكاتسكيل؛ خارجاً ساعياً لممارسة رياضته المفضلة إلا وهي صيد السناجب. أما وحدته الساكنة فكانت كالصوت الذي يتردد، ويتكرر الصدى مرة أخرى مع صوت قرقة مسدسه.

في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، ألقى ريب اللاهث والمتعب بنفسه على تلة خضراء مغطاة بعشب الجبل الذي أعتلى قمة الجرف. من بين ثنايا الأشجار، أستطاع أن ينظر إلى كل المنطقة السفلية فيما يزيد عن الميل مساحة من أراضي الغابات الخصبية. ومن مسافة بعيدة رأى ريب العظيمة هدسون، حيث كانت تبدو بعيدة.. بعيدة كل البعد.. أدنى منه. كانت هدسون تتحرك بمسارها الصامت المهيب مع الإنعكاس الذي تخلقه غيمة أرجوانية، أو إبحار قارب متخلف بحركته عن السرب. هنا وهناك تبدو هدسون وكأنها تنام في حضان مضجر ، وفي النهاية تفقد نفسها في المرتفعات الزرقاء. على الجهة الأخرى، نظر ريب جامحاً، وحيداً ومتعباً فرأى واد عميق أسفل الجبل. كان القعر مليئاً بقطع متساقطة من المنحدرات الصخرية القريبة. ونادراً ما يُضاء هذا القاع بالإشعاعات المنعكسة من الشمس وقت الغروب. لبعض من الوقت، جلس ريب يتأمل هذا المشهد بعمق. بينما كان المساء يُقدم تدريجياً، بدأت الجبال بإلقاء ظلالها الزرقاء الطويلة على الوديان. رأى ريب بأنه إن كان سيعود للقريبة، فسيحل الظلام قبل تمكنه اصلاً من الوصول بفترة طويلة؛ تنهد بعمق عندما فكر في مواجهة هلع دام فان وينكل وذعرها.

وعندما كان ريب على وشك النزول، سمع صوتاً ينادي بصوت عالي من بعيد. "ريب فان وينكل" "ريب فان وينكل". نظر حوله ولكنه لم يرى شيئاً سوى غرابٍ يطير مُنعزلاً في رحلته عبر الجبل. أعتقد ريب بأن خياله قد أضله؛ فعاد لينزل من جديد. سمع ريب نفس النداء يدوي عبر هواء الأمسية الصامت "ريب فان وينكل" "ريب فان وينكل" وفي الآن نفسه، نصب واللف ظهره للأعلى، أطلق صوت هدير وتواري إلى جانب سيده. نظر ريب بخشية أسفل الوادي؛ فشعر بشيء من الخوف المبهم يتمالكة. نظر مرة أخرى بقلق في نفس الإتجاه فلاحظ بأن رجلاً غريباً يتقدم ببطئ، جاهداً فوق الصخور وينحني تحت ثقل لشيء يحمله على ظهره. كان ريب مندهشاً من رؤية أي إنسان في هذا المكان المعزول غير المأهول، ولكنه أفترض بأنه أحد أبناء القرية جاء حاجةً لمساعدته. عجل في تلقفها.

على نهج مقارب، ريب لا يزال مندهشاً أكثر لغرابة مظهر هذا الشخص الغريب. كان رجلاً قصيراً، مربوع البنية، كبير العمر، شعره سميك وكثيف، كما أنه شائب اللحية. لباسه كان من اللباس الجرمانى عتيق الطراز. حيث يرتدي سترة بلا أكمام مشدودة بحزام حول الخصر، وعدة أزواج وطبقات من البناتل القصيرة (الخارجية تمتاز بحجمها الواسع مزينة بالأزرار على الجانبين، وربطات عند الركبتين.)

كان يحمل الرجل على كتفه برميل ثقيل بدى وكأنه مليء بالخمير المعتق. أشار لريب بالإقتراب ومساعدته في حمله. بالرغم من خجل ريب وإرتيابه من هذا الوضع الجديد؛ فلقد أذعن له بإبتهاجه المعتاد. أراحوا نفسيهم من الحمل ثم تسلقوا للأعلى بإتجاه جدول ماء صغير، يبدو كسيل على سفح الجبل الجاف، وكلما تسلقوا سمع ريب اصوات الاجراس المجالطة تتعالى من قاع الواد ومن بين الصخور العالية. خلال الطريق الوعرة توقف ريب للحظة ثم قال في نفسه انها حتما اصوات زخات المطر من اعلى الجبل فاكمل طريقه. وعندما عبروا الوادي مروا من خلال مدخل من الاشجار ذات الافرع المتشابكة على امتداد حافتي الطريق، فبالكاد تستطيع رؤية لمحات من السماء الزرقاء وغيوم المساء الناصعة فتراءى لأعينهم كمسرح مشيد. بدأت شكوكهم تتعاظم خلال ذلك الوقت فتساءلوا بين بعضهم البعض لماذا يحملون برميلا من الشراب الى أعلى الجبل؟ فبدأة الريبة تراودهم وتقض مضجعهم.

في ذلك المسرح بين الأشجار وجدوا اشياء عجيبة ايضا فعلى ممر العين راوا مجموعة من المخلوقات الغريبة ذات اللحي الطويلة والاشكال الغريبة والألوان المتعددة يلعبون التسع خشبات (قناني). حيث ان ملابسهم كانت من الطراز الغير المعهود فأحدهم كان يرتدي قميصا طويلا واما الاخر فكان يرتدي عباءة وحزاما قد غرس في غمده سيفه الكبير، واما ملامحهم فكانت تشير الدهشة والرعب فأحدهم كان لديه راس كبير ووجه عريض وعيون صغيرة واما الاخر فانفه الكبير احتل كامل مساحة وجهه وكان يلبس فوق راسه قبعة بيضاء ولديه ذيل مثل ذيل الديك. احد هؤلاء الرجال كان كبيرا بالعمر، رزينا ذا طبع هادئ حيث كان يرتدي سترة حريرية وحزام واسع ويلبس على راسه قبعة مزخرفة و جوارب حمراء وحذاء ذا كعب عال مزين بالورود فبدا انه قائدهم. رفاق ريب ذكروه باللوحه الفلمنكية القديمة الموجودة في قاعة دوميني فان شايبك، والتي تم جلبها من هولندا ايام الاستعمار وان هذه المخلوقات تشبه تلك المرسومة عليها.

العجيب في الامر ان كيف لهذه المخلوقات السوداوية ذات الوجوه القبيحة ان تقوم بشيء مثل كهذا؟! وبالرغم من صمتهم العجيب الا ان هذه كانت اغرب حفلة شهدتها ريب في حياته كلها. لا شيء تداخل مع هدوء ذلك المشهد سوى صوت دحرجة الكرات التي صدح صداها كصوت الرعد المجلجل.

ما أن اقترب ريب والرجل المصاحب له منهم، توقفوا عن اللعب وحدقوا به بنظرة راسخة كتمثال جامد وملامح غريبة باهتة، لدرجة أنه أحس وكأن قلبه سقط من مكانه وركبتيه تضربان ببعضهما. قام الرجل المصاحب له بإفراغ محتوى البرميل في زجاجات كبيرة (أباريق) ثم أشار إلى ريب ليقدّمها للرجال الآخرين. فما كان من ريب إلا أن أطاعه وهو يرجف خوفاً. أما الرجال فقد تجرعوا الخمر بصمت عميق، ثم عادوا إلى لعبتهم.

هدأت خشية ريب تدريجياً، حتى أنه وبينما لا أحد يراه- تجرأ وتذوق الشراب، والذي وجد بأن له مذاق الشراب الهولندي الجرمانى الممتاز. في الحقيقة ريب كان سكيراً بطبعه، فما كان منه إلا أن جذب ليعيد الكرة مرة أخرى. شفة حثت أخرى، وهكذا كرر ريب مرات شربه من الإبريق. بعد مضي بعض الوقت، دُحرت حواسه، صغرت عيناه، أنخفض رأسه، وراح في نوم عميق.

عندما قام للمشي وجد ريب نفسه على التلة الخضراء، المكان الذي ألتقى فيه رجل الواد العجوز لأول مرة. فرك عيناه، فرأى صباح مشرقاً مشمساً. كانت الطيور تتقافز وتغرّد بين الشجيرات. أما النسر فكان يحلق عالياً معتلياً نسيم الجبل الصافي. "بالتأكيد" قال ريب معتقداً: "لم أتم هنا الليل بطوله." أسترجع الأحداث التي عاشها قبل نومه. رجل برميل الخمر غريب الأطوار، الواد الصغير في الجبل، التراجع الجامح بين الصخور، الحفلة البائسة خلال لعبة التسع خشبات، والشراب! أوه! ذلك الشراب اللعين! فكر ريب قائلاً: "ما الحجة التي سأسوقها الآن لدايم فان وينكل؟"

نظر ريب حوله باحثاً عن سلاحه، ولكن بدل من بندقية الصيد المستهلكة النافذة خاصته وجد سلاح ناري قديم ملقياً بجانبه، كان البرميل مغطى بالصدأ، أما زناد المسدس فكان يسقط من مكانه ودعامته تحولت إلى طعاماً تتغذى عليه الديدان. فما كان من ريب إلا أن شك بأن صاخبين القبور في الجبل نصبوا له مكيدة، واشربوه الخمر وجردوه من سلاحه. وولف أيضاً أخفى، ولكنه من الممكن أن يكون قد ضل بعيداً سعياً وراء سنجاب أو طائر حجل.

صفر ريب على كلبه ونادى بأسمه، ولكن بلا جدوى. أعاد صدى الصوت صفرات ريب وصرخاته، ولكن واللف لم يظهر ابداً. قرر ريب أن يذهب مجدداً إلى مكان الأمسية الممتعة السابقة، وفكر أنه لو تقابل مع أحد من أولئك الرجال سيطلب منهم استعادة كلبه وسلاحه. عندما نهض ريب لكي يمشي وجد بأن مفاصله قد تيبست، كما أنه فقد نشاطه المعهود.

" الجبال هذه لا تتفق معي." قال ريب فان وينكل واذا كانت هذه المزحة تصيبني بنوبة روماتيزم فسوف أمضي وقتا طيبا مع دام ريب فان وينكل، ومع بعض الصعوبات أستطاع أن ينزل إلى الوادي ووجد الأخدود الذي صعد إليه هو وصديقه الليلة الماضية، وصدمة عندما رأى فيضان جبلي كالرغوة ينسال عليه قافزا من صخرة لأخرى ومالنا التجويف الصخري بفقااعات المياه، على أي حال قام ريب فان وينكل بتحويل طريقه لتسلق جوانب الأخدود والتقدم في طريقه الشاق خلال أجمة الأشجار والساافراس الساحرة هازل، في بعض الاحيان كان يتعثر أو يقع في شراك عروق نبات المعترش البري الذي تشابكت لفائفه وأجزاءه اللولبية من شجره لأخرى وانتشر كشبكة في طريقه،

بعد مدة وصل ريب إلى حيث الواد فتح في الليلة الماضية خلال المنحدرات إلى المدرج، ولكن لم يكن يوجد أي آثار فتح فقد شكلت الصخور جدار عال غير قابل للاختراق و جاء السيل متدفقا عليه في طبقه من الرغوة الكثيفة ونازلا إلى حوض النهر الواسع العميق متشحا بالسواد من ظلال الغابات المحيطة. هناك وقف ريب فان وينكل المسكين ونادى كلبه مجددا وصفر له ولكن الجواب الوحيد كان صوت خوار قطع من البقر الكسول الذي يلهو عاليا في الهواء حول شجرة جافة معلقة على جرف مشمس. والذي كان آمنا على علوه وبدا ينظر إلى الاسفل يهزأ بحيرة الرجل المسكين.

ما العمل ؟ الصباح كان ينقضي بسرعه وريب كان يشعر بالجوع الشديد ليتناول فطوره، حزن ريب للتخلي عن كلبه ومسده ولهذا فزع من مقابلة زوجته هكذا لكنه لم يرد أن يتصور جوعا على الجبال، هز ريب رأسه وحمل على كتفيه هذا العبا الصدا وبقلب مليء بالخوف والتوتر عاد ريب أدراجه إلى دياره.

عندما اقترب ريب من القرية قابل عددا قابل عددا من الناس ولكنه لم يعرق أحدا منهم وهو الأمر الذي تفاجأ به كثيرا لأنه كان يظن أنه يعرف كل شخص في أرجاء البلاد، أثوابهم أيضا كانت تنتمي إلى نمط مختلف غير الذي كان يعرفه، جميعهم حدقوا به بنظرات من الغرابة وكلما وجهوا أعينهم عليه كانوا يلمسون لحاهم بشكل مستمر و التكرار لهذه الحركة أغرى ريب فان وينكل لا اراديا للقيام بالمثل ولكن للمفاجأ وجد لحيته نمت بطول قدم.

دخل ريب الآن أزقة القرية وقد تجمهر حوله جيش من الاطفال الغرباء يشيرون إلى لحيته المتشحة بالبياض ولكنه لم يتعرف على أي منهم. ولم يستطع التعرف إلى أي من الكلاب قامت بالنباح عليه عندما مر، القرية بذاتها تغيرت لقد كبرت و أصبحت مليئة بالسكان، كان هنالك صفوف من البيوت التي لم يرها من قبل أما البيوت التي كان يعرف أصحابها فقد اختفت، أسماء غريبه كانت معله على الأبواب ووجوه غريبه تنتظر من النوافذ، كل شيء كان غريبا.

عقله الآن أربكه كثيراً فقد بدأ بالشك في إذا كان هو والعالم حوله ليسا مسحوران، بالتأكد كانت هذه قرينته الأم التي غادرها يوم أمس؛ فهناك تقع جبال الكاتسكيل وهنا يجري نهر الهدسون على بعد وهناك كل هضبه وواد في مكانهم بالتحديد كما كانوا دائماً، ريب بالتأكد كان مرتبكا (وعاء النبيذ ذاك قد شوش عقلي المسكين بشكل كبير .) فكر ريب فان وينكل.

وبشق الأنفس استطاع ريب أن يجد الطريق إلى بيته الذي اقترب إليه بنوع من الهلع الصامت متوقعا في أي لحظة أن يسمع صوت صرخة دايم فان وينكل الصاخبة، وجد ريب البيت على وشك التلاشي فالسقف كان منهارا والنوافذ كانت محطمه والابواب كانت واقعه عن المفاصل ونصف كلب جائع يشبه وولف كان على بعد من البيت.

ناداه ريب باسمه، ولكن الكلب هرهر مُخرجاً أسنانه ومن ثم مضى. كان ذلك رد فعل قاس على ريب بالفعل، حيث قال الأخير مُتتهداً "كلبي العزيز قد نسيني." دخل ريب إلى المنزل ليُخبر زوجته بالحقيقة، السيدة دايم فان وينكل تُبقي المنزل دائماً في ترتيبٍ أنيق، لكن هذه المرّة وجد المنزل فارغاً وبائساً وعلى ما يبدو مُهمل، هذه الكآبة تغلبت على مخاوفه من زوجته. نادى (ريب) على زوجته وأبنائه بصوتٍ عالٍ، فَرَنَ صوته للحظة في الغرفة المهجورة، ثم عاد الصمّت من جديد.

هَرَعَ ريب، وأسرع إلى منتجعه القديم؛ فندق القرية الذي وجده قد اختفى أيضاً، ويقف مكانه مبنى خشبيّ كبير متداعٍ ذو نوافذ كبيرة الفتحاح، بعضها محطم وتم ترقيعه ببعض القبعات والتنانير القديمة. وكان قد خطّ أعلى الباب "فندق الاتحاد لجوناثون دولتل" بدلاً من الشجرة العملاقة التي لطالما أوت في الماضي الفندق الهولندي الصّغير، وقد بُني الآن عمودٌ طويل أعزل يعلو قمته شيء يبدو كقبعة نومٍ حمراء. يتدلى منه علمٌ يحتوي على مجموعةٍ وحيدة من النجوم والرتب العسكرية. كل هذا كان غريباً عليه ولا يمكن استيعابه، لكن ريب استطاع أن يتعرّف على علامه؛ إنه الوجه الياقوتي للملك (جورج) الذي لطالما اعتادت ان يدخّن تحته غليونه بسلام. وجه الملك تغيّر بشكل استثنائي؛ فالمعطف الأحمر غُيّر بواحد أزرق وبرتقالي، ووضِع في يده سيفٌ بدلاً من الصّولجان، والرأس تم تزيينه بقبعةٍ فحمية، ورُسِم تحته شخصية كبيرة، الجنيرال واشنطن.

كالمعتاد، يقفُ هناك على الباب حشدٌ من الناس، لم يتذكّر ريب أيّاً منهم. المظهر العام للناس قد اختلف، كل شيء يبدو منشغل وصاخب ومثير للنزاع بدلا من اللامبالاة والسكون الناعس المعتادين. نظر ريب بعين الحكيم نيكولاس فيدار؛ وجهه الواسع، وسلسلته المزدوجة، وغلبيونه الطويل الجميل يطلق سحباً من دخان التبغ بدلا من خطباته المملة. (فان باميل)، مدير المدرسة، الذي كان ينشر محتويات الصّحف القديمة أصبح الآن شخصٌ هزيل وشاحب، وجيبه ممثلة بنشرات الاعلانات، ينتقد بعنف كل ما يتعلق بحقوق المواطنين، والانتخابات، والكونجرس، والحرية، والمستودعات، وأبطال السادسة والسبعين، وكلمات أخرى كانت كالخطاب المربك والمبهم لفان وينكل المحتر في أمره.

أما مظهر ريب، أصبح ذو ذقنٍ طويلة يغزوها الشيب، بندقية الصّيد خاصته صدئة، وثيابه فظة، وجيشٌ من النساء والأطفال يتعلقون بعقب حدائه، مما جذب انتباه سياسيي الحانة الذين تجمعوا حوله يتفحصونه بفضول كبير من رأسه إلى أخمص قدميه. تخطب الخطيبُ به وسحبهُ على جنب بشكل منفرد مستفسرا "لأي حزب صوتت" فحدّق ريب به بغباٍ شاغر. رجل قصيرٌ مزعجٌ آخر، دفع ريب بذراعه، ورفع نفسه على رؤوس أصابع قدميه، يستفسر في أذنه "سواء كان فيدرالي أم ديمقراطي"، عجز ريب عن استيعاب السؤال. كان هناك رجلٌ مسن ومثقف ومهم، ذو قبة فحميه، شقّ طريقه بين الحشود مُبعداً أيّاهم بمرقه إلى اليمين وإلى اليسار، زرع نفسه أمام فان وينكل واضعاً يده على خصره والأخرى تستندُ على عصا، عيناه الثاقبتين وقبعته الحادة اخترقت (كما كانت تفعل بالماضي) إلى حد بعيد روح ريب سائلاً بنبرة قوية "ما الذي جاء به إلى الانتخابات بسلاح يعلو كنفه وتجمهر على عقبيه؟ وهل قصد أن يصنع شغباً في القرية؟" للأسف أيها السادة" صرخ ريب وهو مفزوع بعض الشيء "أنا رجل فقير هادئ من مواطني هذا المكان الأصليين، ومواطن مخلص للملك" فليباركه الرب".

هنا انفجر صراخ العامة من المتفرجون "محافظة! محافظة! جاسوس! لاجئ! كافحوه بعيداً من هنا!". كان من الصعب جداً على الرّجل ذو الشخصية المهمة والقبة الفحمية أن يستعيد النظام بعشر أضعاف صرامة حاجب. استدعى مجدداً المذنب المجهول، لماذا جاء إلى هنا؟ ومن يريد؟ أكد له الرّجل المسكين بتواضع أنه لم يقصد أن يسبب أي أذى لكن جاء فقط ليبحث عن بعض جيرانه الذين اعتادوا أن يحافظوا على الحانة.

"حسناً، من هم؟ اذكر اسمائهم"

ذكّر ريب نفسه للحظة واستفسر "أين (نيكولاس فيدار)؟" صمتوا لبرهة عندما ردّ رجلٌ مسن بصوت ضعيف وخافت "نيكولاس فيدار! لماذا؟ إنه ميت، رحل قبل ١٨ عاماً، وكان هناك قبرٌ خشبيّ في ساحة الكنيسة يخبر الكثير عنه، لكنه تعفن وهلك أيضاً"

"أين (بروم بتشر)؟"

أه، ذهب إلى الجيش في بداية الحرب، البعض قال أنه قُتل في اقتحام على منطقة (ستوني بوينت)، وآخرون قالو أنه سُحب بعاصفة ثلجية ضرت سفح (أنتوني نوز). لا أعرف، فهو لم يعد مجدداً أبداً.

"أينَ فان بامل، مالك المدرسة؟"

"ذهب إلى الحرب أيضاً، فلقد كان لواء المقاومة الشعبية، وهو الآن في الكونجرس".

انفطر قلب ريب لسماعه هذه للتغيرات المؤلمة لقرينته وأصدقائه، ووجد نفسه وحيداً في هذا العالم. كلِّ رِدِّ شوشه أيضاً بمداواته لزلّات هائلة من الزمن وأمر عجز عن فهمها: حرب، كونغرس، ستوني بوينت. لم يمتلك الشجاعة بعد الآن ليسأل عن أصدقاء آخرون، صرخ يائساً "هل يعرف أحدٌ هنا ريب فان وينكل؟"

"آه، ريب فان وينكل" هتف رجلين أو ثلاثة "آه، لكي تتأكد إن ريب فان وينكل هناك، يستلقي مقابل الشجرة" نظر ريب، ورأى نظيراً مماثلاً له في الصعود إلى الجبل، وعلى ما يبدو مثله تماماً بالكسل والتلهل. الرجل المسكين أصبح الآن مرتبكاً تماماً، شك في هويته سواء أنه هو نفسه أو رجل آخر. في منتصف حيرته، سأل الرجل ذو القبعة الفحمية من هو؟ وما هو اسمه؟

"الله أعلم". هتف ريب في منتهى ذكائه "أنا لست نفسي.. أنا شخصٌ آخر.. هذا أنا هناك.. لا.. هذا شخصٌ آخر وضع نفسه في مكاني.. لقد كنت نفسي في الليلة الماضية، لكنني نمت في الجبل، وقاموا بتغيير سلاح، كل شيء تغير، أنا تغيرت، ولا أستطيع أن أخبر ما هو اسمي أو من أنا".

بدأ المتفرجون الآن ينظرون الى بعضهم البعض، يومؤون برؤوسهم ويغمزون بعضهم بشكلٍ ملحوظ، وينقرون أصابعهم مقابل جباههم. كان هناك أيضاً همسٌ عن تأمين السلاح ومنع الرجل المسن من التسبب بأي أذى، وعن الاقتراح الجدّي والمتهور للرجل ذو الشخصية المهمة والقبعة الفحمية بأن يتقاعد. في هذه اللحظة الحرجة، مرّت امرأة جميلة ومفعمة بالنشاط بين الحشود تحمل على ذراعيها طفلاً سميناً، ارتعب من المنظر وبدأ بالبكاء، قالت "أصمت ريب، أصمت، ايها الاحمق الصغير، لن يؤذيك الرجل المسن". اسم الطفل، تهدة الام، نبرة صوتها، كل هذا ايقظ سلسلة من الذكريات في رأسه. سألها "ما اسمكِ، سيدتي الجميلة؟"

أجابت قائلة: "جوديث جاردينير". فسأل: "وما اسم والدك؟"

"أوه!" ووالدي رجلٌ مسكين كان يُدعى ريب فان وينكل ولكن هذا كان قبلَ عشرين سنة فقد خرج بعيداً مع سلاحه ولم يُسمع عنه أي شيء من وقتها حيث عاد كلبه من دونه ولكن أيما كان ما فعله سواء أطلق هو النار على نفسه أو خطفه الهنود الحمر لا أحد يستطيع التخمين، كنت مجرد طفلة صغيرة حينها.

كان لدى ريب سؤالٌ واحد ليسأله وقد نطقه بصوتٍ مرتجف "أين والدتك؟". "أوه لقد ماتت أيضاً من مدةٍ قصيرة فقد انتحرت بقطع شريانها في لوعةٍ حب لبائع متجول في بريطانيا الجديدة".

كان في هذا الخير على الاقل نوع من الراحة .لم يستطع الرجل الصادق تمالك نفسه أكثر من ذلك، حيث قام بأخذ ابنته وطفلها بين ذراعيه وصرخ " أنا والدك ! ريب فان وينكل اليافع قديما وريب فان وينكل الهرم الآن ! هل يعرف أحدا ريب فان وينكل".

الجميع بدا مندهشاً حتى تقدمت امرأه عجوز من بين الحشد و وضعت يدها على جبينها وحدقت من تحته في وجه ريب فان وينكل للحظه وقالت " بالتأكيد ! إنه ريب فان -وينكل إنه هو ! أهلا بك في ديارك أيها الجار القديم، لماذا وأين كنت طوال العشرين سنة الماضية؟"

أخبر ريب قِصته حيث مضت العشرين سنة قليلة واحده، جميع الجيران حدقوا باستغراب عند سماع هذا، بعضهم كان يغمز الآخر وبعضهم كان يظن أنه يلقي دعاية حتى الرجل الوثائق من نفسه الذي كان يرتدي قبةً أنيقة عاد الى حقله بعد سماع هذا الخبر متعجباً وكان يهز رأسه تعجبا كلما كان هناك خبر صادم بين الناس.

لقد كان مقرراً على أي حال أخذ رأي (بيتر فينردونك) العجوز الذي رأوه قادماً ببطئ على الطريق، لقد كان ينحدر من سلالة المؤرخين من هذا الاسم الذين كتبوا واحداً من أوائل التقارير عن هذه المقاطعة، كان بيتر المواطن الأقدم في الجوار فقد تذكر ريب فان وينكل فوراً توأكد صحة قصته بالسلوك الأكثر إرضاءً، حيث أكد للجميع أنها كانت حقيقة متوارثة من أجداده المؤرخين وهي أن جبال الكاتسكيل كانت دائماً مقصداً لكثيراً من الأعراب .

وعندما أكد أن (هيندريك هوسون) العظيم – مستكشف النهر والدولة الأول – كان لديه هناك نوع من اليقظة كل عشرين سنة مع أشبائه. حيث يُسمح له بهذه الطريقة أن يستعيد ذاكرته في المغامرات التي قام بها ويحرس النهر والمدينة الكبيرة المسماة على اسمه. وكان أبوه قد رآهم مرةً مرتدين ملابسهم الجرمانية القديمة يلعبون لعبة الكرة والقناني الخشبية في جوف الجبل. وأنه سمع بنفسه مرةً بعد ظهيرة إحدى الأيام الصيفية صوت الكرة تتخبط كصوت الرعد من بعيد.

باختصار، قطع الرفاق صلتهم ببعض وعادوا إلى ما هو أهم في الانتخاب. أما ريب، فقد أخذته ابنته ليعيش معها. كان لديها منزل مريح مفروش بشكل جميل; ومزرعة كرز كبيرة لزوجها الذي تذكره ريب بإحدى القنافذ التي كانت تتسلق ظهره. أما ابن ريب الذي يشبهه كثيراً كأنه نسخة طبق الأصل عنه منحنياً على الشجرة. كان موظفاً في المزرعة لكنه أثبت أنه يهتم بوزاع وراثي يخص أي شيء غير عمله؟؟

لقد استعاد ريب الآن نفسه وعاداته وبأقصر وقت وجد الكثير من أصدقائه الحميمين السابقين بالرغم من أنه شيء سيء للغاية بسبب الوقت الذي مضى .. وفضل أن يبني صداقات مع الجيل الصاعد .. مع هؤلاء الذين سوف يكن لهم فضل عظيم .

لم يكن لديه شيء ليفعله في البيت وعودته بذلك السنّ المُسرّ بينما يكون الإنسان خاملاً بحصانته جعلته يأخذ مكانه على المقعد أمام مدخل النزل وأخذ الناس باحترامه وتوقيره كأنه إحدى كبار القرية وسجّل للزمن الماضي "ما قبل الحرب". استغرقه بعض الوقت حتى استطاع أن ينخرط

في النميمة كما كان يفعل من قبل، أو استطاع أن يفهم الأحداث الغريبة التي ظهرت بينما كان في سباته. كيف أمكن حصول حرب ثورية – وأن الدولة طرّحت استعباد انجلترا القديمة - ، وأنه بدلاً من أن يكون عبداً لجلالة جورج الثالث، هو الآن مواطناً حراً في الولايات المتحدة. ريب في الحقيقة لم يكن لديه أي تدخل سياسي، والتغيرات في الولاية والمملكة لم تؤثر فيه إلا قليلاً. لكن كان هناك شيء واحد جعله يتنهد وهو الحكومة المسيطرة. لحسن الحظ أن هذا كان في النهاية ، وحرر رقبته من العبودية المفروضة عليه نتيجة الزواج. فالان يمكنه الذهاب أينما شاء، وقتما شاء من غير أن يتأهب خائفاً من استبداد دايم فان وينكل. مع ذلك، كان يهزّ رأسه ويرفع عينيه كلما كان اسمها يُذكر أمامه إما استسلاماً لقدره أو فرحاً لخلاصه.

كان لا يمل من إلقاء القصة على أي شخص يصل إلى اوتيل (دوليتل). وقد لوحظ، في البداية، أنه يغير بعض الأشياء كل مرة يلقي فيها القصة. وبلا شك، كان هذا نظراً لقصته دليل على أنه صاح ومتيقظ.. وبالنهاية استقرت القصة على الحكاية التي أقولها أنا. وليس هناك رجل، أو امرأة، أو طفل في الحارة إلا ويحفظونها عن ظهر قلب. ودائماً ما يشك البعض منهم بأنها حقيقية وأصروا أن ريب قد جنّ وهذا واحد من الأسباب التي تجعله دائماً طائشاً. لكن، كان السكان الجرمانيين القدماء دوماً ما يصدقونها. حتى يومنا هذا، فكل ما يسمعون صوت رعد بعد ظهيرة يوم مشمس يتخيلون هيندريك هوسون وطاقمه من الأشباح يلعبون بالكرة والقناني الخشبية. حتى أنها أمنية الأزواج المركوبين في الحي أن يشربوا من قد ريب فان وينكل المهدي عندما تقسو عليهم الحياة – من زوجاتهم بالطبع.

كلمات وردت في القصة:

١. (Kaatskill mountains) جبال الكاتسكيل: منطقة كبيرة تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك في ولاية نيويورك.
٢. (Hudson) هدسون : مدينة تقع في ولاية نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية.
٣. (Appalachian mountains) سلسلة جبال الأبلش : هي مجموعة جبلية كبيرة تمتد في المناطق الشرقية من أمريكا الشمالية. كما تعد هذه الجبال من أقدم الجبال في أمريكا وأطولها.
٤. (Flemish) فلانكي-هولندي. وصف لمايسون بالفلامون أو الفلاميون.
٥. (Hendrick Hudson) هيندرريك هدسون: وهو مستكشف إنجليزي. وهو المستكشف الأول لمدينة ونهر هدسون، التي سميت بأسمه.
6. (Jerkins): سترة رجالية ضيقة، بلاكمين. كانت سائدة في القرنين السادس والسابع عشر.
7. (Doublet): سترة رجالية، كانت سائدة في أوروبا الغربية من القرون الوسطى وحتى القرن السابع عشر.
8. (Breeches): بنطال رجالي واسع، طوله يصل للركبتين. وعادة ما يكون مزخرف أو مزين بأربطة. كان شائع جدا في القرنين السابع والثامن عشر.
9. (Cocked hat): قبعة رجالية كانت شائعة جدا في القرن الثامن عشر.
10. (Sugar-loaf hat): قبعة ذات شكل مخروطي.
١١. (Nine pins): التسع خشبات/قناني : لعبة تشبه لعبة البولينغ اليوم، ولقد كانت شائعة جدا في أوروبا.
12. (Marble game) لعبة البانير: هي لعبة تتلخص في رسم دائره محيطها ٩٠ سم على الرصيف بطباشير او رسمها بخيط في المنزل على السجاد حيث تختار البنور الاكبر لتجعله المصوب الخاص بك ووضع ٥-١٠ بانير في وسط الدائره للتصويب عليها
13. (Tartar) تارتار: عضو في القوات المشتركة لشعوب آسيا الوسطى التي تضم المغول والأتراك والذين تحت قيادة جنكيز خان إحتلو جزءاً كبيراً من آسيا وشرقي أوروبا في أوائل القرن الثالث عشر وأسسوا أيضاً مملكةً عاصمتها سمرقند تحت ثيادة تيمورلنك في القرن الرابع عشر.
14. (Sassafras) شجرة الساسافراس: شجرة متساقطه تنمو في أمريكا الشماليه ولها أوراق عطريه ولحاء،تستخدم أوراقها لصنع الشاي
15. (birch) شجر القصبان : شجرة هزيلة سريعة النمو ذات لحاء ضئيل ،تنمو بشكل رئيسي في الاقاليم الشماليه.

١٦. (King George) جورج ويليام فريدريك أو جورج الثالث (١٨٢٠): هو ملك بريطانيا العظمى ومملكة أيرلندا (١٧٦٠) حتى اتحاد الدولتين عام ١٨٠١، ليصبح ملك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا حتى وفاته.

١٧. (Stony Point) ستوني بوينت: هي بلدة مثلثة الشكل تقع في مقاطعة روكلاند في نيويورك- الولايات المتحدة الأمريكية إلى الغرب من نهر الهدسون.

١٨. (Antony's Nose) انتوني نوز: هي قمة على طول نهر الهدسون في الطرف الشمالي من مقاطعة ويست تشستر نيويورك.

لمزيد من أبحاث مشاريع التخرج لطلبة جامعة النجاح الوطنية – كلية العلوم الإنسانية
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

[زوروا مستودع أبحاث النجاح](#)